أد. عيسى بن قبي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الثانية ماستر تاريخ الوطن العربي وحدة: المشرق العربي بعد 1945

المحاضرة الثالثة: المشرق العربي في ظل الحرب الباردة (**حلف بغداد**)

مع بروز ملامح النصر لصالح الحلفاء، واقتراب أجل نهاية الحرب العالمية الثانية، طفح إلى السطح الصراع بين المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة ، وان كان الخلاف الايديولجي بينهما سابق للحرب العالمية، غير أن بروز خطر مشترك هدد الطرفين في وجودهما- والمتمثل في الخطر النازي - جعلهم يتجاوزون خلافاتهم، ويقيمون حلفا مصلحيا مؤقتا. ومع نهاية الحرب تكشف النزاع وظهر الصراع للعلن بين الطرفين في إطار ما اصطلح على تسميته بالحرب الباردة.وذلك من خلال الأزمات التي اجتاحت العالم. فكان الصراع في بادئ الأمر داخل النطاق الأوربي لكن سرعان ما تجاوز هذا المحيط، لتتحول مختلف ربوع العالم إلى حلبت صراع لهما، ومن ضمنها منطقة المشرق العربي، حيث جلبت اهتمام المعسكرين وأصبح كل طرف يسعى لاحتوائها وضمها إلى معسكره.

دوافع الاهتمام بمنطقة المشرق العربي:

يكتسي موقع المشرق العربي أهمية خاصة من عدة جوانب، جعلته في السابق محل أطماع وتنافس من قبل قوى الاستعمار الأوربية، ليصبح لاحق محل تجاذب بين المعسكرين الشرقي والغربي في أطار الحرب الباردة: فهو يتوسط القارتين الأسيوية والإفريقية، وهمزة وصل بينهما، كما يشرف على مسطحات مائية مهمة، وتتمثل في البحر الأحمر والبحر المتوسط، أحد أهم المعابر التي تمر بها التجارة العالمية، خاصة في ظل إشرافها على قناة السويس .

كما يكتسي الموقع أهمية إستراتيجية، تتمثل في احتوائه على مساحات ترابية شاسعة تمكن نشر قواعد عسكرية، كما أن إطلالاته البحرية تمكن السفن الحربية من التواجد هناك، خاصة مع صلاحية الملاحة البحرية في كل الفصول . وإضافة إلى أهمية موقعه، ازدادت أهميته الاقتصادية باكتشاف البترول خاصة بالعراق وشبه الجزيرة العربية.

مساعي الولايات المتحدة لتشكيل حلف بالمشرق العربي لمواجهة المد الشيوعي:

كانت منطقة المشرق العربي تمثل مجالا حيويا للمعسكر الغربي، كون الدول المهيمنة عليه هي بريطانيا وفرنسا، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأت هذه الهيمنة تتزعزع مع انتشار المد التحرري المعادي للدول الاستعمارية، حيث نالت كل من سوريا ولبنان استقلالهما، ولحقت بهما الأردن، وفي العراق ومصر بدأ عضد المعارضة يشتد، وارتفعت المطالبة بالحد من الامتيازات البريطانية في بلدانهم، حيث فتح العراق مفاوضات مباشرة مع بريطانيا لإلغاء معاهدة 1830، أما في مصر فقد أعلنت الحكومة

هناك بقيادة النحاس عن إلغاء معاهدة 1936، وطالبت بجلاء القوات البريطانية من سيناء من جانب واحد، وصادق الملك على ذلك رغم معارضة بريطانيا وعدم اعترافها بهذا القرار. وغم هذا فالظرف الذي كان سائدا، والمتمثل في اشتداد الحرب الباردة لم يكن يسمح بترك المجال فارغا، ولذا نجد الرئيس الأمريكي ومع إدراكه لضعف شوكة حلفائه بالمنطقة، حاول تدارك الأمر من خلال إدراج المنطقة ضمن مشروعه القائم على سياسة الاحتواء، حيث قدم في هذا الإطار مساعدات خاصة في المجال العسكري لكل من العراق والأردن ولبنان وسوريا والسعودية، إضافة للكيان الصهيوني.(تقديم هذا الفصل)

أمام هذا الوضع وخوفنا من المد الشيوعي في المنطقة، طرحت الولايات المتحدة مدعومة من بريطانيا مشروع إنشاء قيادة شرق أوسطية، على غرار القاعدة الشرق الأوسطية البريطانية التي كانت موجودة إبان الحرب العالمية الثانية، على أن تحل تلك القيادة الجديدة محل القوات البريطانية المرابطة بقناة السويس، وأن تنظم مصر لهذا التحالف، وتكون مقرا له . **الى جانب الولايات المتحة وبريطانيا وتركيا** وللضغط على مصر ودفعها لقبول الانضمام إلى التحالف، جرت محاولة مقايضة جلاء القوات البريطانية من السويس بقبول الانضمام للحلف المقترح، ورغم هذا فقد رفضت مصر هذا العرض.

وأمام فشل هذا المشروع، خاصة مع عدم تحمس باقي دول المشرق العربي كسوريا ولبنان والأردن. طرح مشروع جديد من قبل الولايات المتحدة، أطلق عليه اسم الحزام الشمالي، والمقصود به حزام أمني يتشكل من دول المنطقة للوقوف أما المد الشيوعي السوفياتي هناك، حيث ظهر استعدادا لهذا التوجه الجديد من طرف كل من العراق وتركيا وباكستان وايران، وهنا طرحت فكرة الانطلاق في المشروع على أن يبقى الباب مفتوح لانضمام باقي دول المنطقة

الموقف من مشروع الحزام الشمالي:

بالنسبة للدول العربية والتي كانت بالأساس مستهدفة فقد انقسمت الآراء إلى اتجاهين:

الأول مؤيد وكان بقيادة العراق، حيث كان على رأس الحكومة هناك نوري السعيد، المعروف بولائه للغرب، عموما ولبريطانيا بصفة خاصة، والتي كانت تعول على إبقاء قواتها بالعراق في إطار الحلف الجديد، كبديل عن قواتها المتواجدة بمصر والمهددة بالجلاء، ودعما لموقف العراق وقعت معه الولايات المتحدة اتفاقية بموجبها التزمت بتزويده بالأسلحة مقابل تعهده بالانضمام إلى حلف دفاعي غربي في المستقبل القريب.

الموقف الثاني والمعرض لهذا المشروع تزعمته مصر، حيث كان يرى قادة النظام الجديد الذي أقيم هناك بعد الثورة التي أطاحت بالملكية، بأن أفضل وسيل للدفاع عن المنطقة هو تشكيل حلف عسكري على أساس الانتماء قومي، بحيث يضم الدول العربية في إطار معاهدة الدفاع المشترك التي تضمنها الجامعة العربية، وابدوا تخوفه من هذا النوع من الأحلاف المقترحة من الولايات المتحدة، كونه يظم دول طالما عانوا من سياستها الاستعمارية بالمنطقة، والمقصود هنا بريطانيا وفرنسا، فتولد التخوف من استغلال مثل هذه الأحلاف لإعادة الهيمنة على المنطقة.وأن الغرب إن أراد حماية المنطقة من المد الشيوعي، فما عليه سوى تزويد البلدان العربية بالسلاح، وفي هذا الإطار، وحتى تختبر مدى جدية الدول الغربية في دعمها للعرب، طلبت مصر استيراد السلاح من بريطانيا والولايات المتحدة دون جدوى.

لم يكتف عبد الناصر بمعارضة مشروع الحلف، بل حاول توحيد صوت العرب من خلال اجتماع دعا إليه تحت راية الجامعة العربية في جانفي 1955 لاتخاذ قرار عربي موحد ، لكن دون جدوى ذلك أن

الدولة الأخرى التي عارضت باستثناء المملكة العربية السعودية، كونها دائما كانت تخشى من تقوية العراق، وبالتالي قد يحي مشروع والده الشريف حسين على حسابها

أما باقي الدول العربية، فرغم عدم انضمامها للحلف، إلا أنها وقفت موقف حياد حتى لا تثير ضدها بريطانيا أو الولايات المتحدة، خاصة وان بعضها يتلقى منهما مساعدات اقتصادية وأحيانا عسكرية محدودة كالأردن ولبنان وسوريا.

إعلان تأسيس حلف بغداد:

في فبراير 1955 قام رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس بزيارة إلى العراق، أين أعلن عن قرب توقيع معاهدة الحلف، وهو ما تم بالفعل في 24 فيفري 1955 بين العراق وتركيا، و حسب ما جاء في المادة الخامسة من ميثاق الحلف، فقد ترك الباب مفتوح لباقي دول المنطقة الراغبة في الانضمام، وتبعا لذلك فقد انضمت بريطانيا في أفريل 1955، ثم تلتها باكستان، في يوليو 1955 ثم إيران في نوفمبر من نفس السنة وبذلك تشكل حلف بغداد، وتمثلت أهدافه حسبما ورد في المادة الأولى من ميثاقه : أن الغرض من إقامته هو الدفاع عن أمن وسلامة الأطراف المتعاقدة..
كما حددت مدة سريان معاهدة الحلف حسب المادة السابعة، بأنها خمس سنوات قابلة للتجديد بمدة مماثلة.

موقف الاتحاد السوفييتي من الحلف :

إن معارضة الاتحاد السوفييتي للحلف أمرا طبيعيا، كونه أصلا أسس لمواجهته، والحد من امتداده ايدولوجيا بالمنطقة، بل اعتبره في تصريحاته عملا عدوانيا، ولمواجهته حاول استغلال معارضة بعض دول المنطقة لهذا الحلف من اجل كسبها إلى جانبه، وبالتالي مواجهة هذا الحلف من داخل المنطقة، وفي هذا الإطار توجه وزير....الروسي إلى مصر عارضا عليها تزويدها بالأسلحة الروسية ،غير ان حكام هذه الأخيرة رفضوا في البداية، كونهم لم يتلقوا بعد ردا قاطعا من الولايات المتحدة وبريطانيا حول الطلب الذي قدموه، في هذا الإطار من قبل، غير أن موقفهم تغير لاحقا حين تأكدوا من عدم جدية الولايات المتحدة في تعاملها، خاصة عندما تحججت في ردها بوجود عراقيل إدارية، والحقيقة أن اللوبي الصهيوني المعارض كان له الدور الفعال في إلغاء طلبيه مصر . لقد قررت مصر لاحقا التوجه في هذا المجال إلى الاتحاد السوفييتي، مما اعتبر نصرا لهذا الأخير وانتكاسة للمعسكر الغربي .

وهناك ملاحظة تجدر الإشارة إليها، والمتمثلة في عدم انضمام الولايات المتحدة إلى حلف بغداد، رغم أنها كانت هي الداعية إلية، ويرجع المؤرخون السبب في ذلك إلى تجنبها الارتباط في منطقة المشرق بالقوي الاستعمارية المنبوذة هناك، والمتمثلة في فرنسا وبريطانيا، إضافة إلى تزامن تلك الفترة مع موعد تجديد السماح للقوات الجوية الأمريكية باستعمال قاعدة الظهران في السعودية، فعمدت إلى عدم إغضاب هذه الأخيرة.

مصير حلف بغداد:

لم يتحقق للولايات المتحدة الهدف الذي كانت تصبوا إليه؛ وهو انضمام كامل الدول العربية في المشرق لهذا الحلف مما أفقد الحلف أهم أسباب إقامته،و سرعان ما تحول إلى أداة لتنسيق المواقف السياسية ، بدلا من أن يكون حلفا عسكريا للدفاع، ومما زاد في تكريس هذا التوجه للحف هو خروج العراق من حلف بغداد في مارس 1959 ،حيث وقع انقلاب عسكري هناك عندما وجه نوري السعيد جيشه إلى الأردن بهدف الضغط على الجمهورية العربية المتحدة (اتحاد مصر وسوريا) حتى لا توسع اتحادها للدول

المجاورة، في إطار التجاذبات السياسية الواقعة هناك،غير أن قائدين في هذا الجيش رفضا إتباع الأوامر، وبدلا من ذلك وجها القوات العسكرية التي كانت تحت إمرتهما إلى القصر الملكي، حيث حاصروه وتم قتل الملك فيصل الثاني ورئيس الوزراء نوري السعيد،وتم ذلك في من قبل القائدين العسكريين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في 14 جويلية 1958. وعقب انسحاب العراق من الحلف تم نقل مقره بعد ذلك إلى تركيا وتغير اسمه إلى (حلف المعاهدة المركزية _ السنتو ،CENTO.

نهاية الحلف : لقد ولد الحلف ميتا منذ البداية بسبب عدم انضمام الدول العربية، بل كانت هناك محاولة لتوحيد الموقف العربي ضده، وهو سعت إليه مصر بقيادة جمال عبد الناصر، زد على ذلك أنه لم يكن هناك انسجاما بين أعضائه، وحتى فكرة الوقوف في وجه الاتحاد السوفيتي فد تلاشت بسبب تمكن هذا الأخير من امتلاك الصواريخ طويلة المدى، بحيث يمكنه الهجوم على أي نقطة في المنطقة دون الزج بجيشه على الأرض، كما أن حدة التوتر بين المعسكرين بدأت تخف بعد تولي خورتشوف السلطة في الاتحاد السوفييتي وتبنيه لسياسة التعايش السلمي ، وقد تزامن تأسيس الحلف مع ظهور حكومات بالمنطقة ذات توجه وطني تحت ضغط شعوبها. وقد برز فشل الحلف في التعامل مع بعض الأزمات التي مست أعضائه، وأهمها الحرب التي اندلعت سنة 1971 بين الهند وباكستان، هذه الأخير والتي هي عضو في الحلف لكن باقي الأعضاء لم يقدموا لها الدعم العسكري حسب ما ينص عليه ميثاق الحلف، مما دفعها للتفكير في الانسحاب، غير أن وقوف الاتحاد السوفيتي إلى جانب الهند جعلها تتراجع لتبقى في فلك الولايات المتحدة. وبعد ذلك وقع غزو تركيا لقبرص 20جويلية 1974 فأوقفت أمريكا مساعداتها العسكرية والمالية لتركيا مما انعكس سلبا على تماسك الحلف الذي كان مدعما من أمريكا ويسير في فلكها.

ومع حلول سنة 1979 و قيام الثورة الإسلامية في إيران وما تبع ذلك من انسحاب هذه الأخيرة من الحلف والتي كانت تمثل الدركي الأميركي بالمنطقة هذه التطورات دفعت بباقي أعضاء الحلف إلى حله.

والملاحظ أن هذا الحلف أسس للوقوف في وجه المد الشيوعي السوفيتي بمنطقة المشرق، غير أن النتيجة كانت عكسية، ذلك أن الأطراف التي كانت معادية للحلف وأساسا مصر التي تخوفت من تقوية العراق على حسابها، توجهت للاحتماء بالاتحاد السوفيتي، ففتحت المجال لهذا الأخير وأصبحت بمثابة قاعدة له بالمنطقة، وجلبت لتوجهها لاحقا دول أخرى بالمنطقة كسوريا والعراق، خاصة مع الانحياز الواضح للولايات المتحدة بشكل خاص والمعسكر الرأسمالي بشكل عام للكيان الصهيوني على حساب الدول العربية، و حرصها الدائم على تفوق هذا الكيان على حساب الدول العربية المحيطة به.

المراجع:

1- ممدوح محمود مصطفى منصور، **الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط**، مكتبة مدبولي مصر.

2- محمد عزيز شكري،**الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية**،علم المعرفة سلسلة صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت،1978.

3- هنري لورونس، **اللعبة الكبرى- المشرق العربي و الأطماع الدولية**،الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، ليبيا ط2.

4- يحيى أحمد الكعكي، **الشرق الأوسط والصراع الدولي**، دار النهضة العربية لبنان ، 1986.

5- روبرت جيه ماكمان، **الحرب الباردة**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2014 ط1.

6- جعفر عباس حمدي وإبراهيم خليل أحمد، **تاريخ العراق المعاصر**، كلية التربية، جامعة الموصل ، العراق